.. وتكلم الجبل

قصة بركان

في يوم ٢٠ مايو ١٨٨٣ رويت روايات عن ظهور بوادر من النشاط البركاني في جزيرة كراكتوى فلم يعبأ بالرواية احد، ولا قلق الناس لان الجزيرة إحدى جزائر ثلاث في مضيق سُندا بين جاوة وسومطرى وهي بعيدة عن كليهما ولا يسكنها أحدٌ او سكانها قلّة لا تذكر

واهتمّ احد سكان بتافيا—عاصمة جاوة — بتنظيم رحلات الى كراكتوى ومشاهدة البركان ، فاذا كأسهُ كبيرة قطرها نصف ميلٍ وعمقها خمسون قدماً وكانت في الجبل المعروف باسم واكاتا . وكان في قعر الكأس بحيرةٌ قطرها مائة وستون قدماً تنفث بخاراً يحدث صوتاً قويّاً مزعجاً فلا يكاد أحد يسمع ما يقول جاره ولو كان يصيح . وعاد الركب الى جاوة ، فقال ابناء البلاد : « ان الجبل الصامت يتكلم وقد يتكلم قريباً»

وفي ٢٦ اغسطس سنة ١٨٨٣ تكلم الجبل الصامت

وكان كلامه قرقعةً أتبعها دويٌّ عظيم . ففي الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم رأى بحارة سفينة على بعد ثمانين ميلاً من جزيرة كراكتوى عموداً من الدخان وقاسوا ارتفاعه فاذا هو سبعة عشر ميلا . وفي الساعة الثالثة بعد الظهر سمع دويُّ الرعد على بعد مائة وخمسين ميلاً ووصف هذا الدوي في الساعة الخامسة بان قصفة لم يعهد قبلاً في كل جاوة

ولم تنقض ساعتان اخريان حتى انتشر عامود الدخان انتشاراً جعلهُ أشبه ما يكون بشجرة الصنوبر وكان يضيء ثنايا التائمة شرر كهربيّ . وكانت سفينة تمخر عباب اليمّ على مقربة من الجزيرة فأمر ربانها بالقاء قطعة من الرصاص في الماء لسبر غوره ، فلما رفعت كانت حاميةً وعجز البحارة عن لمسها

وظل الدويُّ طوال الليل فعجز الناس في بتافيا عن النوم . ولم يعلم على وجه التحقيق أي البراكين الثلاثة كان مصدر الانفجارات الاولى ولكن الكتلة الكبرى تسند الى جبل واكاتا

على ان الكارثة كانت لا تزال في مستهلها في ليل ٢٦ اغسطس عند ما جعل النومُ سكان بتافيا ونحو مائة من المدن والضياع المجاورة . وفي صباح الاثنين سمعت أربعة انفجارات متوالية بلغ دويها مبلغاً عظيماً ونسف ثالثها الجزيرة نسفاً وهزّ كرة الارض

وقد ذهب بعض الكتّاب العلميين الى انه لو جمعت جميع القنابل والمواد المتفجرة التي استعملت خلال الحرب العالمية الاولى في كومة واحدة وفجرت دفعة واحدة لما بلغ دويها الا نصف دوي هذا الانفجار البركاني . ومع ان الاعتماد على تصوير كهذا التصوير غير مستحسن فإنه يسوق الى الذهن مثلاً على القوى العظيمة التي أحدثت هذا الانفجار في كراكتوى

كان الدوي الذي أحدثهُ الانفجار مسموعاً في جاوة وسومطرى وبورنيو . ففي بلدة كاريمون بجاوة ، ظن أولاً ان الدوي مرده الى انفجارات متعمودة في سفينة لستغيث . فخرجت الزوارق متأهبة للانقاذ . ولكنها عادت فارغة الايدي لأن مصدر الدوي كان يبعد ٣٥٥ ميلاً . وسمع في مضيق مكاسر ، بين بورنيو وجزائر سيليب وهو يبعد عن كراكتوى ٩٦٩ ميلاً ، فخرجت سفينتان للاستطلاع . وحدث في خليج لونشيا بجزيرة بورنيو — وهو يبعد ١١١٦ ميلاً عن كراكتوى — أن ظنّ المجرمون غير المدانين من سكان القرى ، ان الدوي انذار بالانتقام العلوي فروا من ضياعهم . وكان شأن الناس في جزيرة تيمور ، شأنهم في جاوة ، أي أنهم ظنوا ان الصوت مصدره سفن لستغيث والبعد بينهما ١٣٥١ ميلاً

وده‌ش الناس في سنهول فكتوريا في غربي استراليا إذ سمعوا دمدمة كدمدمة المدافع مع انهم لم يكونوا يعلمون ان في جوارهم فصائل من الجيش . واستيقظ الناس في بلدة « وايلي وارتز » باوستراليا — وهي تبعد ٢٠٢٣ ميلاً عن كراكتوى — على صوت كأنه صوت لسف المهاجر . وفي جزيرة رودريجز سجل مدير البوليس في دفاتره أنه سمع « هديراً بعيداً كأنه دوي مدافع كبيرة قادم من الشرق » . وقد استغرق سوت الانفجار أربع ساعات في انتقاله من كراكتوى الى رودريجز والمسافة أقل من ثلاثة آلاف ميل قليلاً . ورودريجز جزيرة في النصف الغربي من المحيط الهندي تبعد عن جزائر موريس ٤٠٠ ميل الى الشرق

وقد أحدثت هذه الانفجارات — ولا سيما الانفجار الكبير — موجة طاغية من ماء البحر ارتفاعها خمسون قدماً . فغمرت جزائر فرلاتن ولونج ، ومحت جزيرة سيبيزي وصدمت سواحل جاوة وسومطرى فدمرت ١٦٣ قرية وحطمت خمسة آلاف سفينة كبيرة وصغيرة وقتلت ٣٦٣٨٠ من الناس . وكانت السفينة الحربية الهولندية بروف Berouw راسية في مياه سومطرى فقذفتها الموجة مسافة ثلاثة اميال وثلاثة ارباع الميل الى الداخل حيث وجد حطامها في مكان يعلو ثلاثين قدماً عن سطح البحر . وقد سجلت هذه الموجة وقيست في جميع انحاء الارض وكان في الوسع تتبعها على سواحل كاليفورنيا وشمالي فرنسا ، وكان ارتفاعها ثماني عشر برصة امام جنوبي افريقية وهو يبعد عن كراكتوى ٥١٠٠ ميل

ولم تنقض عشر ساعات على حدوث الانفجار حتى سجلتهُ الاجهزة في اوربا الوسطى وكان التسجيل الاول بفعل موجة من الهواء بلغت اوربا عن طريق الهند وآسيا . وبعد

انقضاء ست عشرة ساعة أخرى اهتزت الاجهزة ثانية بفعل موجة هواء ثانية وصلت اوربا عن طريق المحيط الهادي والقارة الاميركية والمحيط الاطلسي

وبعد انقضاء اربع وثلاثين وست وثلاثين ساعة أخرى اهتزت الاجهزة لان الموجتين كانتا قد التقتا حول الكرة الارضية وبقيتا تلتقيان حولها اياماً وهما تضعفان رويداً رويداً.

وكان آخر تسجيل من هذا القبيل يوم ٤ سبتمبر أي بعد انقضاء تسعة أيام على الانفجار

ومن غرائب ما حدث في منطقة بحر سندا، حيث جزيرة كراكتوى، ان الانفجار قذف في الجوّ مقادير عظيمة، من العثير الدقيق، فأصبح الفجر والشروق والأصيل والغروب والغسق، من المشاهد الرائعة النادرة لان هذا العثير كان يكسّر أشعة الشمس فيميل لون الفضاء عند الافق الى الحمرة القانية. وهذا يفسّر ما قاله الرحّالون الدانمركيون، عن «سماء ثانية كالدم» وكان ذلك على أثر انفجار سابق حدث في جزيرة كراكتوى سنة ١٦٨٠ وبلغ من ارتفاع اطباق العثير في الفضاء أنها كانت تعكس اشعة الشمس بعد توارريها وراء الافق. فكان مشهدها من الظواهر الجوية المستغربة

أما جزيرة كراكتوى نفسها فقد انشقّت أرضها ولم يبق إلاّ أحد الشقين. ولولا ما ترسب على الشق الباقي مما قذفهُ البركان في الفضاء لما كان ما بقي منها سوى شيء يسير. أما الجزيرتان الاخريان — فيرلانتن ولونج — فقد احترقت ارضهما عندما ترسّبت عليهما طبقة من حجر الطفّان الحامي الى حدود الحمرة، وكانت كثافة هذه الطبقة ستين ذراعاً. أي ان حجم الجزيرتين زاد. وتكونت جزيرتان صغيرتان لا يزيد كلٌّ منهما على ميل، ثم غارتا

وظلّ أرخبيل كراكتوى، بعد هذه الكارثة عقيماً لا يصلح للحياة، لأن انبعاث الحامض والتمداح الشرر الكهربي في جوّه خنق كلّ حيّ تحت غشاء كثيف من ثاني اكسيد الكربون ثم غطّت سطح الارض طبقة من الرماد والطفّان. فبعد تلك الكارثة كان ارخبيل كراكتوى كما كانت قارات الارض قبل ٥٥٠ مليون سنة. وعلى هذا اجمع العلماء. وقد كان الاستاذ «كوتو» الفرنسي أول عالم تجرّأ على التجوال في انقاض كراكتوى في مايو سنة ١٨٨٤. وكانت الانقاض لا تزال حامية — فلم ير أثراً ما للحياة، ما عدا زيلاء واحدة ربما حملتها الريح على خيطها، وكانت الزيلاء تنسج شبكتها ولكنهُ كان محملاً بغير جدوى اذ لم يكن في الجزيرة شيء تستطيع الزيلاء ان تتغذى به. وبعد انقضاء ثلاث سنوات على الكارثة رست سفينة صغيرة على شاطئ كراكتوى وكانت تقل فريقاً من العلماء وكانوا يتوقعون أن يروا آية الحياة آخذة في غزو هذا اليباب فلم يخب أملهم. وتوالت البعثات العلمية بعد ذلك وكل بعثة كانت تشاهد غزوَ الاحياء غزواً مطرداً في هذه الجزيرة وفيها الآن صنوف متعددة من النبات والحيوان، ومنها أشجار بواسق وحيوانات تسبح أو تطير